

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université ZIANE ACHOUR De Djelfa

جامعة زيان عاشور - الجلفة

Faculté : Lettres et Langues

كلية الآداب واللغات

et SC. Sociales et Humaines

و العلوم الاجتماعية والإنسانية

Département : Sciences Humaine

قسم العلوم الإنسانية



( السنة الثالثة تاريخ )

Hassen.barboura@gmail.com

## محاضرات مقياس الدولة العثمانية و المشرق العربي

( السنة الثالثة تاريخ )



الموسم الجامعي 2011 - 2012

## برنامج مقياس : الدولة العثمانية و المشرق العربي

الأناضول قبل ظهور العثمانيين

عوامل نمو الدولة العثمانية

ملامح التنظيم السياسي و العسكري و الديني

التوجه العثماني نحو المشرق الإسلامي

النزاع العثماني الصفوي

النزاع المملوكي العثماني

ضم بلاد الشام و مصر

خضوع الحجاز للعثمانيين

العثمانيون و الجزيرة العربية ( اليمن )

ضم العراق

نظام الحكم العثماني في المشرق

نظام الحكم في الولايات

محاولات الانفصال عن الدولة العثمانية في بلاد الشام

## قائمة المراجع

أنيس محمد ، الدولة العثمانية و المشرق العربي 1516 – 1914

يلماز اوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية

محمد بديع شريف و آخرون ، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة

برو توفيق ، العرب و الترك في العهد العثماني 1908 – 1914

ساطع الحصري ، البلاد العربية و الدولة العثمانية

جيب هاملتون و هارولد بابل ، المجتمع الاسلامي و الغرب ( جزئين )

حسان علي الحلاق ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية .

رافق عبد الكريم ، العرب و العثمانيون 1516 – 1916

شكري محمد فؤاد ، الحملة الفرنسية على مصر و ظهور محمد علي .

الشناوي عبد العزيز ، الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليها

## الأناضول<sup>1</sup> قبل ظهور العثمانيين

عرفت منطقة الأناضول نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر صراعا سياسيا ، بعد تصارع دولة السلاجقة<sup>2</sup> و الإمبراطورية البيزنطية<sup>3</sup> ، فسلاجقة الروم كانت بداية نهايتهم معركة 1243 ضد المغول ، و الدولة البيزنطية بدأت تتأثر منذ الحملة الصليبية الرابعة على المسلمين مما جعلها تركز على جزيرة البلقان ، و في ظل هذه الظروف ستظهر قوة سياسية تملأ الفراغ السياسي وهي الدولة العثمانية .

يقول أحد المؤرخين عن أصل هذه الدولة : ( ليست كيانا سياسيا مستقلا ... عن دولة السلاجقة .. إنما هي تركيب من العناصر التركية تمخض عن التطور السياسي و الاجتماعي في الأناضول في القرنين 13 و 14 م ، وهذه العناصر هي التي أسست إمارات الأناضول ) .

و المتفق عليه أن قبيلة بني عثمان وصلت الأناضول نتيجة اكتساح جنكيز خان ملك المغول منطقة ماهان ، موطن القبيلة التي تركها سليمان جد عثمان المؤسس الأول للدولة العثمانية قاصدا بلاد الأناضول ( الروم ) حيث السلاجقة ، و كان لسليمان ثلاثة أبناء أشهرهم أرطغرل الذي استأذن السلطان السلجوقي علاء الدين ملك قونية في الدخول إلى بلاده طالبا منه موصعا يستوطن فيه هو و عشيرته فلبى له السلطان طلبه فنزل أرطغرل و من معه ( 400 أسرة ) في مكان يدعى قره جه طاغ ، و قد قدم أرطغرل خدمات حربية للسلطان السلجوقي ، مما جعله يحصل على لقب محافظ الحدود ضد البيزنطيين ، و كانت جيوش أرطغرل في مقدمة جيوش

<sup>1</sup> الأناضول كلمة إغريقية تعني الشرق ، منطقة جغرافية تشكل شبه جزيرة جبلية في غرب آسيا على البحر المتوسط تشمل معظم الأراضي التركية وتعرف أيضا بآسيا الصغرى .

<sup>2</sup> الدولة السلجوقية هي إحدى الدول السنية القوية التي قامت في إيران والعراق وسوريا وآسيا الصغرى . وتُنسب هذه الدولة إلى سلجوق زعيم عشائر الغزّ التركمانية ، التي هاجرت واستقرت في بخارى . استولى أحد أحفاد سلجوق وهو ( طغرل بك ) على إقليم خراسان سنة 429هـ / 1037م . ولما ضعف البويهيون في بغداد وكان قد اشتد ظلمهم للخلفاء ، استنجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالسلطان السلجوقي طغرل بك لإنقاذه من البويهيين ؛ فانتزع السلطان هذه الفرصة ، وسار بجيوشه إلى بغداد ، ودخلها في عام 447هـ / 1055م ، واعترف الخليفة به سلطانا على جميع المناطق التي تحت يده ، وأمر بأن يُذكر اسمه في الخطبة .

<sup>3</sup> الإمبراطورية البيزنطية : إمبراطورية تاريخية كانت عاصمتها القسطنطينية ( بيزنطة ) . وكان يطلق عليها الإمبراطورية الرومانية الشرقية . عاشت ما يزيد عن إحدى عشر قرنا ونيف من الزمان وظلت قائمة حتى عام 1453 م . وكانت معبرا للقوافل التجارية بين الشرق والغرب .

كانت الإمبراطورية البيزنطية تضم عند تقسيم الإمبراطورية الرومانية قبيل وفاة الإمبراطور ثيوديسيوس الأناضول بآسيا واليونان وجزر بحر إيجه وأرمينية وآسيا الصغرى وسوريا ومصر وبرقة ، وعندما أعتلى الإمبراطور جستنيان العرش بدأ في تنفيذ مشروعه بتوحيد الإمبراطورية الرومانية الكبرى مرة أخرى ، فاستطاع في غضون 30 عام تقريبا ضم شمال أفريقيا ، و جنوب أسبانيا ، إقليم دلماشيا ، وإيطاليا ، بالإضافة إلى استيلائه على جزر البحر المتوسط مثل سردينيا وكورسيكا ، وبذلك أصبح البحر المتوسط بحيرة رومانية مرة أخرى .

علاء الدين ، فلقت قبيلته بمقدمة السلطان ، و أثناء ذلك ضم مدينة أسكي شهر ، و أمام تدهور السلاجقة خاصة بعد وفاة علاء الدين مما سمح لعثمان ابن أرطغرل بالإستيثار بالمقاطعات التي كانت تابعة للسلاجقة ، و متخذاً من إسكيشهر عاصمة له ، و في عهد عثمان ( 1288 - 1326 ) أخذت الإمارة تتوسع مما مكنتها السيطرة على الأقاليم المجاورة ، و بدأت مناطق بيزنطة تتساقط في يد الجيش العثماني ، و تطلع بعدها العثمانيون إلى التوسع في أوروبا

## العبور إلى أوروبا :

كانت العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية و البيزنطيين حسنة خاصة في عهد أورخان<sup>4</sup> خليفة عثمان ، فقد استنجد الإمبراطور يوحنا السادس بأورغان عام 1355 و عرض عليه تزويجه ابنته تيودورا مقابل صد هجوم صربي على بلاده ، فأجابته إلى طلبه و عبر جيش عثمان إلى الساحل الأوربي دون قتال بسبب موت ملك الصرب ، و بعد عامين 1357 تمكن ولي العهد سليمان من الاستيلاء على قلعة غالي بولي فكانت أول منطقة أوربية للعثمانيين . استمرت الفتوحات العثمانية بعد أورغان ، ففي عهد مراد الأول 1360 - 1389 م تم فتح مدينتي أنقرة و أدرنة ، ثاني مدينة بيزنطية بعد القسطنطينية ، و اتخذها العثمانيون عاصمة لهم لقربها من أوروبا كما فتحو بلغاريا كلها بين 1385 و 1386 ، و تعتبر معركة كوسوفو سنة 1389 في عهد السلطان بايزيد الأول 1389 - 1410 من أكبر المعارك و نتج عنها دخول الصرب بحوزة الدولة العثمانية ، و من المعارك الأخرى : معركة 1396 نيقوبوليس التي جاءت بعد تكوين حلف أوربي مسيحي بقيادة ملك المجر سيجموند و باركه البابا بونيفاس ، و شاركت فيه فرسان القديس يوحنا<sup>5</sup> ، إلا أن السلطان بايزيد الأول 1390 - 1402 هزم هذا التحالف ، و أسرمشاهير فرسان النبلاء الصرب و رفع من مكانة العثمانيين في العالم الإسلامي إضافة إلى معارك فارنا 1444 و معركة كوسوفو الثانية 1448 م .

<sup>4</sup> السلطان أورخان غازي : ولد سنة 1281م ، و شارك في معارك الجهاد في سلطنة أبيه ، و آلت إليه السلطنة العثمانية بعد وفاة أبيه ، فنقل العاصمة من مدينة بني شهر إلى مدينة بورصة ، و بدأ مسيرة توحيد الأناضول ، بضم الأراضي التي كانت خاضعة لأمراء الطوائف التي كانت تسمى: قرمان ، و أيدين ، و صاروخان ، و منتشا ، و كرميان ، و حميد ، و تكة ، و قره سي ، و أسفنديار ، و مرعش ، و ذو القدرية ، و باطنة ، و رمضان ، و أنشأ الجيش الجديد [ بني جيري ] الإنكشارية ، و أوجد منصب الوزارة ، و عين فيه أخاه علاء الدين باشا ، فكان أول وزير في الدولة العثمانية ، و قسم أراضي البلاد المفتوحة إلى قسمين وهما: خاص تصرف إيراداته للخزينة السلطانية ، و لأمراء العائلة الملوكية ولأعيان الحكومة ، و أرض تيمار تذهب إيراداتها إلى رجال الحرب ، و قد ساعد نظامه العادل على قوة السلطنة .

<sup>5</sup> فرسان يوحنا: فرقة عسكرية صليبية أو جماعة دينية صليبية محاربة ساهمت بشكل بارز في الحروب الصليبية، أقامت بجزيرة رودس ، ثم احتلت طرابلس في ليبيا.

- أدرك العثمانيون أهمية مدينة القسطنطينية فهي جسر حيوي رابط بين القسم الآسيوي و القسم الأوربي ، و طريق للملاحة الدولية ، أشاد بها نابليون بونابرت فقال : (( لو كانت الدنيا مملكة واحدة ، لكانت القسطنطينية عاصمة لها )) .

مهد السلطان محمد الفاتح<sup>6</sup> ( 1451 - 1481 ) لهذا الفتح بعدة إجراءات منها : عقد مجموعة اتفاقيات سياسية مع جيرانه الأوربيين ( البندقية ، جنوه ، الصرب ، فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس ) بهدف عزل الإمبراطور قسطنطين عن حلفائه و ثانيا ضرب حصار اقتصادي على المدينة لمنع تموينها و قطع الإمدادات عنها ، و ثالثا لرفع وتيرة القدرة القتالية لدى الجيش العثماني و تجهيزه بمعدات حربية متطورة .

ضرب السلطان حصارا على المدينة بجيش قوامه 100.000 جندي مشاة ، فرسان ، مسلحين بالبنادق و المدفعية ، يتقدمهم الشيوخ و العلماء و رجال الصوفية ، و في 6 أفريل 1453 بدأ السلطان في محاصرة المدينة برا و بحرا ب : 400 سفينة ، و كان هذا الحصار التاسع و العشرون و الأخير للمدينة . و في 29 ماي من نفس السنة أعطيت الأوامر بالهجوم الكاسح و المفاجئ ، أظهر خلاله الإمبراطور البيزنطي مقاومة باسلة ، إلا أنه سقط و أثر على معنويات جيشه الذي بدأ يتقهقر نتيجة لخطة العثمانيين ، و من نتائج فتح المدينة تحول نظرة الأوربيين للعثمانيين و اعتبارهم خطرا ، كما يعتبر منعطفًا تاريخيا هاما ، و قد اعتبر المؤرخون ذلك الفتح بداية للعصور الحديثة و نهاية العصور الوسطى .

بعد دخول المدينة من البوابة الرئيسية قام السلطان محمد الثاني بالصلاة ( صلاة الظهر ) في كاتدرائية القديسة صوفيا إيذانا بتحويلها إلى مسجد ، و أطلق على المدينة اسطامبول

<sup>6</sup> السلطان الغازي محمد الثاني الفاتح : بالتركية العثمانية : فاتح سلطان محمد خان ثاني ؛ والذي عُرف في أوروبا خلال عصر النهضة باسم " Mahomet II " ، هو سابع سلاطين الدولة العثمانية و سلالة آل عثمان ، يُلقب إلى جانب " الفاتح " ، بأبي الفتوح و أبو الخيرات ، و بعد فتح القسطنطينية أُضيف لقب " قيصر " إلى ألقابه و ألقاب باقي السلاطين الذين تلوه . حكم ما يقرب من ثلاثين عاماً و عرفت توسعاً كبيراً للخلافة الإسلامية .

يُعرف هذا السلطان بأنه هو من قضى نهائياً على الإمبراطورية البيزنطية بعد أن استمرت أحد عشر قرناً و نيفاً ، و يعتبر الكثير من المؤرخين هذا الحدث خاتمة العصور الوسطى و بداية العصور الحديثة ، و عند الأتراك فهذا الحدث هو " فاتحة عصر الملوك "

تابع السلطان محمد فتوحاته في آسيا ، فوحد ممالك الأناضول ، و توغل في أوروبا حتى بلغراد . من أبرز أعماله الإدارية دمج لإدارات البيزنطية القديمة في جسم الدولة العثمانية المتوسعة آنذاك . كان محمد الثاني عالي الثقافة و محباً للعلم و العلماء ، و قد تكلم عدداً من اللغات إلى جانب اللغة التركية ، وهي : الفرنسية ، اللاتينية ، اليونانية ، الصربية ، الفارسية ، العربية ، و العبرية .

إخبار نبي الإسلام عنه : يؤمن المسلمون بأن النبي محمد بن عبد الله تحدث عن أمير من أفضل أمراء العالم ، وأنه هو من سيفتح القسطنطينية و يدخلها ضمن الدولة الإسلامية ، فقد ورد في مسند أحمد بن حنبل في الحديث رقم 18189 : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَسَمِعْتُهُ أَنَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ حَبَّابٍ، قَالَ حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغْبِرَةِ الْمَعَاوِرِيُّ، قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَشْرِ بْنِ خَتْمَعِي، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَتُقْفَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ فَلَنَعِمَّ أَمِيرُهَا وَلَنَعِمَّ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ

(مدينة الإسلام) ، فأصبحت عاصمة الدولة بدلاً من أدرنة ، وعمل السلطان على تعميمها بالمساجد والمستشفيات والمدارس والمصانع ، وانتهج مع سكانها المسيحيين سياسة التسامح .

واصل محمد الفاتح حروبه على بلاد الصرب والبوسنة والهرسك والبنانيا وجنوه والبندقية و نابولي ، وحالفه الحظ في معظم تلك الحروب ، ولكنه أخفق في بلغراد و جزيرة رودس ، اللذين يستكمل فتحهما أحد حفدته وهو سليمان القانوني ، كما خاض حروباً في آسيا الصغرى فقد قضى على مملكة طرابزون الإغريقية<sup>7</sup> في شمال الأناضول 1461 ، وبذلك يعتبر محمد الثاني المؤسس الحقيقي للإمبراطورية بالفتوحات لذا لقب بسيد الأرضين الرومان والأناضول وسيد البحرين الأسود والمتوسط . لكن هذا السلطان العظيم ارتكب أخطاءً ، مثل منحه امتيازات للأرثوذكس ، وفتح أبواب الوظائف لفئة الدفشمرة<sup>8</sup> (ضريبة الدم) ، وتوزيع الأراضي عليها في شكل إقطاعيات (تيمارات) . ثم جاء بعده ابنه بايزيد الثاني 1481 - 1512 فحظي بتأييد العلماء والانكشارية ، وفي عهده نشطت الحياة الاقتصادية والتجارية ونمت المدن العثمانية واستولى على الموانئ التجارية للبندقية ، وعقد اتفاقيات صلح مع المجر ، إنجلترا ، إسبانيا ، البرتغال ، بولونيا و رودس لمدة عشرين سنة ، مما مكن الدولة من الالتفات نحو المشرق ، حيث بدأ الاحتكاك العثماني - الصفوي والعثماني - المملوكي ، بسبب التنافس على الإمارات الإسلامية بالأناضول .

<sup>7</sup> الإمبراطورية البيزنطية أو الإمبراطورية الإغريقية في العصور الوسطى يمكن أن تشير إلى:

- الإمبراطورية البيزنطية كانت عاصمتها مدينة القسطنطينية امتد حكمها من العام 330 م إلى العام 1453 م
- كما ويمكن لها أن تشير إلى أي وريث بيزنطي قام بتشكيل إمارة أو مملكة أو إمبراطورية مستقلة وكان ذلك بعد سقوط القسطنطينية عام 1204 م مثل :
  - إمبراطورية طرابزون البيزنطية :كانت عاصمتها مدينة طرابزون امتد حكمها من العام 1204 م إلى العام 1461 م
  - إمارة إبيروس البيزنطية :كانت عاصمتها مدينة أرتا امتد حكمها من العام 1205 م إلى العام 1479 م
  - إمبراطورية نيقية البيزنطية :كانت عاصمتها مدينة نيقية امتد حكمها من العام 1204 م إلى العام 1261 م

<sup>8</sup> **الدفشمرة أو نظام الدفشمرة** : تطورت عملية التجنيد خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، حيث كان يطوف ممثلوا السلطة في قرى البلقان مرة كل سبع سنوات أو أقل لتجنيد الشباب الصغار تجنيداً إجبارياً ، وكان على كل عائلة أن تقدم عن كل أربعين فرداً فيها واحداً للتجنيد ، فكانوا ينقلون إلى الأناضول وإسطنبول ليلتحقوا بالمدارس السلطانية ، فتنشأ عنهم تنشئة إسلامية ، ويتعلمون اللغة التركية ، ويتدربون إما على القتال ، وإما على الإدارة والخدمة في الحكومة والقصور السلطانية ، وكان هذا هو السبيل للترقي إلى المراتب العليا في الدولة ، فكثير من الوزراء العظام وكثير من رجال الديوان السلطاني بدعوا حياتهم بهذه الطريقة .

## عوامل نمو الدولة العثمانية

- 1- اتخاذ العثمانيين الإسلام مرجعا لحكمهم من خلال سياسة تسامح مع شعوب أوروبا و التقرب من رجال التصوف و العلم .
- 2- العامل الجغرافي أثر في نمو الإمارة العثمانية ، ذلك أنها نشأت في الجزء الشمالي الغربي للأناضول على حدود عالمين مسيحي و إسلامي ، وقد فرض عليها ذلك الموقع التوسع على حساب دار الكفر حفاظا على كيائها السياسي .
- 3- تأسيس الجيش الانكشاري ، العمود الفقري للإمبراطورية العثمانية و سبب جميع الانتصارات العثمانية .
- 4- قوة شخصية السلاطين الأوائل أمثال : محمد الفاتح ، بايزيد الثاني كالقدره على التخطيط و التحركات العسكرية و القيادة المباشرة للجيش .

## ملامح التنظيم السياسي و العسكري و الديني

### التنظيمات السياسية :

#### مصادر الحكم و أشكاله :

استمدت الدولة أصولها و سيادتها من النصوص الإسلامية ، على اعتبار أن حكماها باختلاف ألقابهم ممثلين للإرادة الإلهية فوق الأرض ، و اعتمد في ذلك على ما ورد في كتب الماوردي و ابن تيمية . فالسلطان العثماني راعي مصالح الإسلام و المسلمين ، حامي الأماكن المقدسة منظم الحج .

اتخذ العثمانيون عدة ألقاب منها الغازي أي أمير الإمارة العثمانية ( ق 13 و 14 ) ثم سلطان الروم ( ق 14 و 15 ) ، و بعد أن توسعت في عهد سليمان القانوني و صف نفسه بسلطان العرب و العجم و الروم منذ القرن 16م ، ثم لقب بادي شاه إسلام أي إمبراطور الإسلام ، أما لقب الخليفة فلم يتخذه السلطان العثماني إلا في 1774 بمعاهدة كوجوك بين الدولة العثمانية و روسيا ، كي يحافظ السلطان على العلاقة الروحية مع مسلمي شبه جزيرة القرم ، كما أستعمل أيضا من قبل عبد الحميد الثاني ( 1876 - 1908 ) الذي أراد التصدي للتحديات الأجنبية من خلال تأجيج العاخفة الدينية .

أما عن نظام وراثته الحكم فقد كان الابن الأكبر يخلف أباه عادة في الحكم ، وترتب عن هذا صراع الأبناء مما جعل محمد الفاتح يقر نظام قتل الإخوة<sup>9</sup> .

### الصدر الأعظم :

هو رئيس الوزراء منذ السلطان أورخان 1326 - 1360 ، ينوب عن السلطان في جميع الأدوار إلا في القصور و المؤسسات الدينية ، يتولى تطبيق القوانين ، قيادة الجيش عند غياب السلطان بمساعدة قضاة ، كان يختار من الأحرار ثم أصبح من المماليك أو العبيد مثل محمود باشا المسيحي 1453 - 1466 .

### الديوان الهمايوني ( مجلس الوزراء ) :

يضم رؤساء دوائر الدولة ، يتداول في القضايا الهامة ( مثل الحرب و السلم ) ، بحضرة موظفين كبار و هم : قاضي عسكر روملي ، قاضي عسكر أناضول ، آغا انكشارية ، أميرال البحرية ، الدفتر ( الخزينة ) دارين ( الروم و الأناضول ) ، و أضيف لهما في القرن 16 التشايجي ( صاحب التوقيع ) ، أو المحقق في مطابقة القوانين للتشريعات .

### الهيئة الدينية :

شيط الإسلام : له دور سياسي ديني يفصل في القضايا الهامة ، تألف في عصر سليمان القانوني حيث كثرت التشريعات و القوانين ، له قضاة ثلاث في بلاد الروم و الأناضول و افريقية .

إضافة إلى طبقة العلماء و المفتون و موظفي المساجد ، لهم امتيازات كالإعفاء من دفع الضرائب ، عدم مصادرة ممتلكاتهم ، ورغم ذلك فإن هذه الهيئة الدينية انحرفت إلى تبرير سلوكات السلطة مما أضعفها .

<sup>9</sup> قانون قتل الإخوة : مفاد هذا القانون الإجازة للسلطان المتولي للعرش أن يقدم على تصفية الأمراء المنافسين و ذلك بالاتفاق مع هيئة العلماء ، و ينطوي هذا القانون على دلالة سياسية ثابتة ، قوامها تغليب المصلحة السياسية العليا للدولة المتمثلة بحفظ وحدة كيانها السياسي .. و أدى وضع هذا القانون موضع التنفيذ إلى تعرض اللحمة القرابية للأسرة الحاكمة لآلية تفكيك .. لذا عرف هذا القانون تعديلا في حيثيات تنفيذه بعد قرن من الزمان ، فقد جرى استبداله بقانون آخر في القرن 16 قضى بالتخلي عن سياسة التصفية الجسدية و الاكتفاء بسياسة سجن جميع الأمراء - عدا أبناء السلطان الحاكم - في مقاصير و منعهم من كل اتصال بالعالم الخارجي . ثم إن هذا القانون نفسه تعرض لتعديل كفي في القرن 17 م حيث أوجب قانون جديد إلزامية انتقال العرش حين خلوه إلى أكبر الأحياء من الذكور من الأسرة العثمانية . أنظر : حسن الضيقة ، الدولة العثمانية ، الثقافة المجتمع و السلطة ، ط1 ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، 1997 ، ص 76 ، 77



## المؤسسة العسكرية :

لعبت المؤسسة العسكرية دورا رائدا في تاريخ الدولة العثمانية ، فقبل القرن 14 م ، لم يكن للدولة العثمانية جيشا نظاميا ، بل اعتمدت في بداياتها التوسعية على الخيالة و الإقطاعيين الذين لم يكن بمقدورهم خوض معارك قتالية كبيرة ، لذلك فكر السلطان في جيش نظامي جديد عرف بالإنكشارية .

### لمحة عن الانكشارية : ( الجيش الجديد ) :

منذ أواخر القرن 14م طبق العثمانيون نظام الدفشرمة ( ضريبة الدم أو الغلمان ) ، وهي ضريبة تجبى من سكان القرى المسيحية في البلقان ، تعتمد على تجميع الأطفال مسيحيين أرثوذكس يفصلون عن ذويهم و أصولهم الاجتماعية و العرقية و الدينية و يربون تربية عسكرية إسلامية عثمانية .

كانت الضريبة تجمع كل 5 سنوات ثم مرة في السنة ، اقتصر على الأرياف ، كان هؤلاء الصبيان يلحقون بالمدارس و يتدربون عسكريا و دينيا و تاريخيا ، ثم يتخرجون بلقب قابي كولاري أي عبيد السلطان ، ثم يقسمون بعد التخرج إلى ثلاث مجموعات فالأولى تلتحق بالقصر السلطاني و الثانية بالمناصب العليا للدولة و الثالثة بفرق المشاة و يطلق عليهم ليني شيري .

و قد جنت الدولة العثمانية فوائد جمّة من الانكشارية ، حيث سدت حاجيات الجيش و قصر السلطان ، فقد كان الجنود ينظرون للسلطان أنه والدهم ، و الثكنة مأواه و الحرب وظيفته و القرآن عقيدته ، و أعداء السلطان أعداء الله يجب محاربتهم فيدخل المعركة إما الشهادة أو النصر . خضعت الانكشارية إلى تنظيم دقيق فقسمت إلى فرق عسكرية أقامت في الثكنات ( أورطة ) و قائدهم يعرف بأغا الانكشارية .

### تدهور الانكشارية :

مع مرور الزمن تفتت روح التمرد و العصيان في صفوف الانكشارية نتيجة لعوامل مختلفة كاختلال نظام الانكشارية ففي سنة 1566 بدأ الجيش الانكشاري يحصل على الامتيازات كالزواج و أصبحوا يكونون طبقة وراثية مميزة ، و بدأوا يفقدون روحهم العسكرية بعد السماح لهم بالإقامة خارج الثكنات ، و أصبحت لهم مهام مختلفة ، و اعتبروا

الجندية مهنة ارتزاق ، فيطالبون برفع الأجور و المنح من السلاطين ، مثل منحة الجلوس الملكي السعيد و تدفع عند تولية سلطان جديد من طرف هذا السلطان .

### تدهور نظام الدفشمرة :

منذ 1582 سمح مراد الثالث بدخول مجندين غير مدربين للإنكشارية ، فاندماج أفرادهم في الجيش ، مما جعل الدولة تهمل ضريبة الغلمان خاصة مع خضوع المجندين الجدد للنظام ، و هكذا استمرت الدولة في دفع رواتب الانكشارية ، و أي تماطل ينهي حياة السلطان مثل ما حدث لعثمان الثاني سنة 1622 م ، لذلك فكر السلاطين في التخلص من الانكشارية حيث تمكن السلطان محمود الثاني في 1826 من القضاء عليهم في الواقعة الخيرية .

### الأسطول البحري :

اهتم العثمانيون بالبحرية في عهود متأخرة ، حينما واجهوا أسطول البندقية بسبب نشاط سفن القرصنة ، و لم يتطور الأسطول العثماني إلا حينما أشرف عليه خير الدين بربروس ، ورغم ذلك فقد اثبت فشله في معارك: ليبانت 1571 و نافارين 1827 .

### التوجه العثماني نحو المشرق الإسلامي :

بمجيء السلطان سليم الأول 1512 – 1520 وجه العثمانيون أنظارهم نحو بلاد المشرق و يعود ذلك إلى عدة عوامل :

1. ازدياد الخطر البرتغالي في الشرق ، و محاولتهم تطويق الشرق الإسلامي بالاستيلاء على سوقطرة اليمنية و الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب .
2. رغبة السلطان سليم الأول في توحيد العالم الإسلامي ككل ، مركزه الدولة العثمانية الإسلامية السنية المواجهة للشيعنة الصفويين و أوروبا .
3. الخطر الصفوي الشيعي بقيادة إسماعيل شاه ( 1502 – 1524 م ) الذي أثار الفتن و التدخلات في آسيا الصغرى .

### النزاع العثماني الصفوي :

أسس الشيط صفي الدين<sup>10</sup> الدولة الصفوية في إيران في النصف الثاني من القرن 15 م ، ولما تولى إسماعيل شاه<sup>11</sup> السلطة و وحد إيران و أقام دولة عسكرية شيعية عاصمتها تبريز ، وفي 1508 انتزع مدينة بغداد و عامل بقسوة أهل السنة و النصارى فيها ، عكس اليهود و رسم المذهب الشيعي في إيران و حاول مد نشاطه المذهبي و العسكري في بلاد الأناضول ، مما أدى إلى الصراع بين الدولتين ، لذلك اصطدم الطرفين و هزم الجيش الصفوي في معركة جالديران<sup>12</sup> في 23 أوت 1514 و سقطت تبريز في يد العثمانيين .

و حققت المعركة النتائج التالية :

1. استيلاء العثمانيين على شمال العراق و ديار بكر و أجزاء من أذربيجان .
2. تأمين الحدود الشرقية العثمانية .
3. توازن السنة و الشيعة في العراق .
4. احتفاظ الدولة العثمانية بمذهبها السني في آسيا الصغرى .
5. تآزم العلاقات برين العثمانيين و المماليك كما سيأتي ذكره .

### النزاع المملوكي العثماني :

بعد أن لمست الدولة العثمانية ضعف المماليك و انهزامهم أمام البرتغاليين في معركة ديو البحرية 1508 م ، اقتنعت الدولة العثمانية بجعل البحر المتوسط و الطرق البرية بين الشرق و الغرب مناطق نفوذ عثماني ، ورغم أن العلاقات العثمانية المملوكية كانت جيدة خلال القرن 15م خاصة ، و بعد القضاء على الخطر الصفوي ، تنافس المماليك العثمانيون على العالم

<sup>10</sup> صفي الدين الأردبيلي : و لد عام 1334م ، وهو الجد الخامس للشاه إسماعيل ، وكان رجلا نشيطا دائب الحركة والسعي؛ استطاع أن يجذب الأتباع حوله في أذربيجان . نجح أبناء الأردبيلي وأحفاده في نشر المذهب الشيعي ، والتمكين له بين المحبين والمريدين ، وصارت لهم قوة وقدرة على المشاركة في الأحداث السياسية في المناطق التي يقيمون بها، وتحولوا من أصحاب دعوة وشيوخ طريقة إلى مؤسسي دولة لها أهدافها السياسية والمذهبية. وكانت الأجواء التي تعيشها إيران في أواخر القرن التاسع الهجري من التمزق السياسي وشيوع الفوضى أفضل مناخ استغله الصفويون لجذب المزيد من الأنصار، والتطلع إلى قيام دولة تدين بالمذهب الشيعي.

<sup>11</sup> إسماعيل الصفوي ( 1487م - 1524م ) مؤسس الدولة الصفوية في إيران، و هو شاه إيران (1501 - 1524) و القائد الديني الذي أسس الحكم للصفويين بعد خوضه عدة معارك ضد حكام بعض المناطق في إيران والتغلب عليهم ، وتساقطت في يده كثير من المدن الإيرانية، وتوج جهوده بالاستيلاء على مدينة" تبريز "عاصمة آق قوبونلو ، ودخلها دخول الفاتحين ، ثم أعلنها عاصمة لدولته. وبدخوله مدينة تبريز تم تتويجه ملكا على إيران، ولقبه أعوانه بأبي المظفر شاه إسماعيل الهادي الوالي، وذلك في سنة 1502م وأصدروا العملة باسمه....

<sup>12</sup> جالديران : صحراء جالديران تقع شمال العاصمة تبريز في شرق الأناضول .

الإسلامي ، وفي جوان 1515م قضى العثمانيون على إمارة ذي القادر التركمانية الموالية للمماليك ، والواقعة في أعالي الفرات لأن أميرها علاء الدين عرقل الجيش العثماني نحو الصفويين .

### فتح بلاد الشام ومصر

أصبح العثمانيون يطوقون الممتلكات المملوكية شمال الشام ، وأحس قنصوة الغوري المملوكي<sup>13</sup> بالخطر العثماني فسار بقواته إلى حلب و التقى الطرفان في معركة مرج دابق شمال حلب ، سنة 1516م وهزم الغوري وجيشه .

تقدم السلطان سليم إلى دمشق ، وقبلها إلى حلب ثم إلى القاهرة ، وفي طريقه إلى الرملة بفلسطين قاتل أهلها ، ثم توجه إلى القدس وتسلم مفاتيحها ، وأرسل رسالة إلى طومان باي المملوكي خليفة الغوري بمصر يعرض الصلح فرفض هذا الأخير ودعم قواته بغزة التي هزمها سليم ، وفي 22 جانفي 1517 التقى الطرفان في الزيدانية ، وانهزم المماليك ، وفتحت أبواب القاهرة لسليم بعد أن فر منها طومان باي الذي أعدم بعد القبض عليه .

مكث سليم بمصر واستقبل الدول الأوربية ، ونظم البلاد ثم عاد للأستانة مصطحبا معه الخليفة العباسي المتوكل على الله ، واختلف الرواة حول تنازل المتوكل على الله عن الخلافة

### خضوع الحجاز للعثمانيين :

كانت الحجاز تتبع مصر وتعيش على الأوقاف المحبوسة لفقراء مكة والمدينة ، ولذا عندما سقطت المماليك في يد العثمانيين ، انتقلت مسؤولية الدفاع عن الأراضي المقدسة إلى العثمانيين وفعلا أعلن شريف مكة بركات ولاءه للعثمانيين .

### العثمانيون و الجزيرة العربية ( اليمن ) :

<sup>13</sup> الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري: الجركسي الجنس هو آخر سلاطين المماليك البرجية . ولد سنة 1446 م . ثم امتلكه الأشرف قايتباي وأعتقه وعينه في عدة وظائف في خدمته . وفي دولة الأشرف جنبلط عين وزيرا . ثم نودي به ملكا على مصر سنة 1501 م ، وظل في ملك مصر إلى أن قتل في معركة مرج دابق شمال حلب سنة 1516 .

تردد ولاء اليمنيين للسلطان العثماني بين 1538 حتى 1568 ، ثم توسع العثمانيون في الخليج العربي ، وسيطروا على عمان و البحرين و الكويت ، و انتزعوا من البرتغاليين هرمز و مسقط .  
ضم العراق :

تولى سليمان الأول القانوني 1520 - 1566 مواصلة الحصار البري و البحري حول الدولة الصفوية ، و لذلك قاد حملة ضد الصفويين ، و انتزع منهم بغداد و مناطق إيرانية أخرى عام 1534 ، إلا أن الصفويين استعادوا العراق و استرجعه العثمانيون نهائيا عام 1538 .

### نظام الحكم العثماني في المشرق :

النظام الإداري : هيئة الحكم المركزي : كان نظام الحكم في عاصمة الدولة يتكون من :

- السلطان : له سلطة مطلقة ، بيده جميع السلطات ، خليفة المسلمين ، القائد الأعلى للجيش ، تضرب السكة باسمه ، و يدعى له بالمسجد .
- الصدر الأعظم : يشبه رئيس الوزراء في وظيفته ، يعينه السلطان ، يشرف على شؤون البلاد ، يقيم في مركز الوزارة المسمى بالباب العالي ، يساعده عدة وزراء .
- الديوان السلطاني : يتكون من وزراء و كبار الضباط و الموظفين و العلماء و الأعيان ، مهمته بحث شؤون الدولة ، رأيه استشاري .

### نظام الحكم في الولايات : أ) التقسيمات الإدارية :

قسم العثمانيون البلاد العربية إلى ولايات تضم عددا من الألوية أو الصناجق ، و كل منها يشمل عددا من المتصرفيات ( جزء من اللواء ) ، فكانت :

- بلاد الشام ثلاث ولايات ( دمشق ، حلب ، طرابلس )
- العراق : أربع ولايات ( البصرة ، بغداد ، الموصل ، شهريزور )
- الحجاز : بقيت تحت حكم الأشراف
- مصر : ولاية واحدة

و كانت سلطة الوالي مطلقة في ولاياته ، و في كل ولاية ديوان من كبار الضباط و الموظفين و الأعيان ، و قد استعان العثمانيون بالماليك في حكم مصر فنافسوا الولاة .

## ب) الإدارة المالية :

نظم العثمانيون الإدارة المالية بضبط إدارة الولايات ومصروفاتها ، وتشكلت الإدارة المالية من عدة دواوين :

← **الديوان الدفتري** : ويرأسه الدفتر دار ، و مهمته تحصيل الضرائب و تسهيل إرسال الأموال للسلطان و كان يطرح الالتزام .

← **ديوان الرزنامة** : مهمته جمع الأموال الأميرية و صرفها في وجوهها المختلفة تحت إشراف الديوان الدفتري ، و قد نص القانون الذي أصدره سليمان القانوني على حصر الأراضي و تقدير ضرائبها ، ففي سنة 1526 أعطت الدولة العثمانية حق جمع ضرائب الأراضي ، ضرائب الفلاحين ( نظام الالتزام ) عن طريق مزاد علني ، إضافة إلى الضرائب الخاصة بالأرض ، هناك ضرائب غير عقارية مثل الجمارك ، الفوائد المفروضة على الصناعة ، الإتاوات المفروضة على التجار ، و الجزية لأهل الذمة .

## ج) التشريع و القضاء

كان السلطان العثماني يعين قاضي عسكر أفندي قاضي للقضاة ، و هو بدوره يختار من ينوبه ( قضاة ) في الولايات ، و ضمت الهيئة الإسلامية في الدولة العثمانية مناصب قضاة ، مفتين و مدرسين ، مصدرهم الشريعة الإسلامية . يقوم القاضي بجمع رؤوس عقود الزواج ، الحج ، و تشرف الهيئة الإسلامية على المساجد و العلماء ، يعفون من الضرائب ، و لا يتقاضون أجورا بل يأخذون نسبة من قيمة المعاملات القضائية ( تكاليف المحكمة ) .

## د) القوات العسكرية :

تنوعت القوات العسكرية في الولايات العربية و منها الانكشارية التي عهد إليها حماية الولاية ، و يرأس الحامية الإنكشارية في كل ولاية آغا الإنكشارية ، و تشكلت هاته الحامية من عدة وحدات بلغ عدد رجالها في 76 مدينة عربية عام 1685 م 13.793 رجل ، و لكن فساد الانكشارية في العهود المتأخرة جعل الدولة تعتمد على أفراد محليين .

إضافة إلى الاقطاعات العسكرية التي عهدت إلى الفرسان الملزمين بتأدية الخدمة العسكرية و المساهمة في الحملات مع الفرسان المساهمين ، و حدد عدد الفرسان المساهمين بسعة كل إقطاعية ، إذ كان يجند فارس واحد لقاء ثلاثة آلاف أقة من الدخل ، و كانت الإقطاعات التي

يزيد دخلها عن 20.000 أقة تسمى زعامة (زعامات) ، ويملكها زعيم ، أما التي لا يتجاوز دخلها 20.000 فتسمى تيمار يملكها تيماري .

## محاولات الانفصال عن الدولة العثمانية في بلاد الشام

وضعت الدولة العثمانية نظاما إداريا بهدف عدم انفراد أي هيئة في الولايات العربية بالنفوذ ، فجعلت إلى جانب الوالي قادة الانكشارية ، وأعيان البلاد ، فكان كل فريق يراقب الآخر .

لكن مع اهتمام الولاة بجمع الثروات وإرسال الضرائب للأستانة و ضعف الدولة العثمانية عسكريا هيا الظروف لقيام فتن و حركات انفصالية خاصة خلال القرنين 17 و 18 في بلاد الشام وأهمها :

### 1 - حركة فخر الدين المعني الثاني : 1590 - 1635

نسبه للأمرء المعنيين الذين قدموا من حلب إلى لبنان و استقروا في منطقة الشوف ، و تولى قائدهم الأول فخر الدين المعني الأول حكم الشام و خاصة لبنان ، و في 1590 استلم فخر الدين الثاني إمارة الشوف و أراد أن ينتقم من وفاة فخر الدين الأول الذي اغتاله العثمانيون ، فقوى إمارته اقتصاديا و عسكريا و دبلوماسيا ، مما ولد لدى الدولة العثمانية الخوف من جهته ، فعمل على استغلال انشغال الدولة بحروبها مع الصفويين ( الشيعة ) فاستولى على أقاليم مجاورة و شجع الإرساليات الأوربية و بنى الكنائس مما أدى للقضاء عليه من طرف العثمانيين

### 2 - علي بك الكبير و حلم الدولة المملوكية : 1767 - 1773

استغل علي بك الكبير المملوكي انهماك الدولة في حربيها مع روسيا و ما ترتب عنه من انهيار لسلطة الباشا و الانكشارية ، حيث ازداد نفوذ المماليك بالقاهرة ، فبرزت طموحات علي بك الكبير بالقاهرة ليؤسس دولة مملوكية مستقلة ، فأنشأ جيشا من المرتزقة ، و امتنع عن دفع الجزية للباب العالي و الدعوة له في المساجد بلقب سلطان البرين ، و أرسل حملة إلى الحجاز و تحالف مع الثائر ظاهر العمر في لبنان ، و طلب المساعدة العسكرية من روسيا ، ففشل ، و تمكنت الدولة العثمانية من القضاء على حركته باستمالة قائده العسكري محمد أبي الذهب .

### 3 - حركة ظاهر العمر الزيداني : 1772 - 1775

كان ظاهر العمر من قبيلة عربية تدعى بنو زيدان بين الشام و حلب ، عين ملتزما على طبرية (قائدا مكلفا بجمع الضرائب) التي حكمها منذ 1773 و أخذ يوسع حكمه في المنطقة ، وقد أثارت سياسته الدولة العثمانية حينما ارتبط بعلي بك الكبير ، وازدادت مكانته حين اعترفت له الدولة العثمانية بحكم صيدا منذ 1772 ، واستغل ظاهر العمر فرصة تواجد الأسطول الروسي في البحر المتوسط فتحالف معه لطرد حاكم بيروت أحمد باشا الجزار ، لكن هذا الأمر فشل إذ قاوم الجيش العثماني هذا الطموح سنة 1775 ، حينما اغتيل ظاهر العمر سنة 1775 .

### 4 - أحمد باشا الجزار : 1775 - 1804

أحد مماليك علي بك ، تولى حكم بيروت بعد مقتل سيده ، أنشأ جيشا قويا من المماليك حكم بلاد الشام باستثناء حلب ، عرف بالجزار لبطشه و مصادرته الأموال ، خشيت الدولة العثمانية من سلطته ففكرت في عزله ، إلا أن الحملة الفرنسية على سوريا سنة 1779 رفعت من سمعته لصموده أمام الفرنسيين ، فاستمر في الحكم حتى وفاته .

### 5 - الحركة الوهابية ( حركة محمد بن عبد الوهاب ) نسبة إلى مؤسسها : 1703 - 1792

كان لدعوة الحركة الوهابية رد فعل سياسي من قبل السلطان العثماني الذي شعر بجديّة الخطر الوهابي المشكك في شرعية الحكم العثماني ، لقد اجتاحت جيوش الوهابيين بلاد الحجاز و العراق الإستراتيجيتين ، و استغل السلطان سخط المسلمين على تصرفات الوهابيين ( سلفيين .. إزالة القباب ، هدم الأضرحة ، .. الخ ) لذلك استغلت الأستانة هذه الظروف و جندت العلماء و الفقهاء لمواجهة الوهابيين ، و استنجدت بمحمد علي باش مصر الذي لبي طلب السلطان محمود الثاني ، فاندلعت الحرب المصرية الوهابية 1811 - 1818 ، و تخربت مدينة الدرعية عاصمة الوهابيين و أعدم الإمام عبد الله بن سعود في الأستانة .